

نظرة في الصّلات العربيّة الفارسيّة حتى مطلع الإسلام

الدكتور محمد التونجي

(2)

يلام نطقها العربي ، فابدل الحرف بحرف يدنو من مخرجه ، ان لم يكن هذا الحرف نفسه ، لان نطقه في الفارسية لا يوازن نطقه في العربية ، فحور في الشكل ، ولام في المخرج .

وقد جرى هذا ، اما بابدال حرف مكان اخر ، واما بزيادة حرف او حرفين ، واما بتغيير البناء كله ليصير من ابنية العرب ويتمكن من الاشتقاق منه . وقد ينقص حرفا او يبدل في الحركات ، او يسكن ، او يحرك الساكن . وقد يتركه على حاله دون تغيير ان لم يحوجه الامر الى ذلك .

والجدير بالملاحظة ان العربي اخذ اسماء ولم يأخذ افعالا او حروفا ، وحينما احتاج الى افعالها اشتق ما حلا له وما شاء . فمن (الجم) قال : الجمعت الفرس . ومن (مهر) : مهر الكتاب . ومن (ديوان) : دون الحساب . ويمكن حصر هذه الاسماء ، فهي اما اسماء نبات او حيوان او معادن او آلات او ماكولات او مشروبات او عادات مما لم يكن يعدها العربي من قبل .

فكلمة (طبرزين) التي هي في الفارسية (تبرزين) اسم لسلاح ، كان يحملها الفارس الفارسي معه . وقد تكلمت به العرب . قال جرير

وكان من نتيجة اتجاه الحكم وجهة الشرق ان تائر العرب باساليب حكم الفرس ، وبمظاهر حياة جديدة افوتهم جدتها وجذبهم لماتها ، مما اضطر بعض خلفاء بني العباس خاصة الى التعرف على تاريخ الفرس والاطلاع على اخبار ملوكهم ومواظف حكماهم كجزء هام من ثقافة الخليفة او الامير . ولا زلنا نذكر ان المأمون حكم في بلاد فارس ودحا من الزمان ، واستعان بالفرس على اخيه الامين في بغداد .

ولقد تطورت نظم الحياة الاجتماعية ومظاهر الحضارة ، وشاع الترف واللهو والطرب ، وتعددت الازياء والفرش والاثاث والانية . وكان كثير من هذا غير معروف للعرب ، فسموها باسمائها الفارسية او اليونانية او الهندية .

ونحن اذا تصفحنا المعجمات العربية - وليس ذلك بعسير - وجدنا عددا وافرا من المفردات كتب المؤلف عنها انها اعجمية او معربة او ان اصلها فارسي . كذلك اذا نظرنا الى القواميس الفارسية وجدنا اكثر من ثلث الفاظهم - ولم افال في ذلك - عربية ومستخدمة في لغتهم الى اليوم .

ولم يتوان العربي عن اخذ اية مفردة احتاج اليها من جارته ، وقد تجرأ على تغيير شكلها بحرية بشكل

في رجل من بني كليب ، يقال له (مجيّب) ، اتهم بقرفة ، فلم يلحقوا عليه شيئا فخلوا منه :

كان مجيد الخبث تلقى يمينه

طبرزين قين مقضبا للمفاصل

تداركه عضو المهاجر بعدما

دعا دعوة يا لهفه عند نائل

وكانوا يبدلون الحرف (ب) بثلاث نقط باء احيانا ، و احيانا اخرى فاء ، لان نطقه واقع بين الباء والفاء ، والثلاثة من الحروف الشفوية . فقالوا لـ (برند) فرند وافرند وبرند وهو السيف او جوهره . وكذلك قالوا لـ (بئكان) فنجان . ومثلها : الاصفهانى والاصبهانى وكلاهما واحد . وكذلك قلبوا الشين سينا . فقالوا للصحراء (دست) وفارسيته (دشت) قال الاعشى :

قد علمت فارس وحمير وال

اعراب بالدست ايكم نزلا

وحولوا كلمتي (بنفشه و لشكر) الى بنفش وعسكر . اما حرف (الكاف الفارسي) فقد اكثر من تبدله وتحويله . فبعض الكلمات الفارسية قلبت كافها الفارسية الى كاف عربية مثل : (كردن : عنق) فقالوا لها: كردان . وقالوا لـ (الكنج) كنزا . وهنا حصل ابدالان ، فالتفاف مكان الكاف والزاي مكان الجيم . وقد تبدل الكاف الفارسية فينا كما في غربال التي اصلها (كربال) . اما تحول الكاف العربية والكاف الفارسية الى جيم وقاف ، فقد كان كثيرا مثال : لكام - لجام . كزبه - قزبق ، ويعربها بعضهم (كزبج وكزبق) ، وهي بمعنى دكان البقال قديما ، لاننا سنرى بعد اسطر انهم كانوا يبدلون الهاء جيما او قافا اذا كانت في اآخر الكلمة .

اما الكلمات الفارسية التي تنتهي بهاء السكت فانهم بدلوها جيما ، فكلمة (بالوده) عربت الى (فالودج) ، وهي حلوى من الطحين والنشاء والشراب ، والموام عندنا يلفظونها (بالوظا) لفظا تركيا . و(برده) عربوها الى (بردج) وهي السبي من الجوارى او الغلمان . قال المعجاج :

كما رايت فى الملاء البردجا

وقالوا للقصر (جوسق) واصلها (جوسه) وقد تحولت فى العامية الى (كشك) . وقد يبدلونها قافا كما فى (باشه) وهو صقر الصيد ، قالوا له (باشق) .

واذا اتى قبل الهاء حرف الدال فانهم يبدلونها بالدال فالجيم مثل : ساده ونموده ، قالوا : ساذج ونموذج . وبدلوا التاء طاء ، فقالوا لـ (تازه) طازج .

وقد يزيدون على الكلمة حرفا او ينقصون منها حرفا ، فقالوا لـ (كليد) التي هي بمعنى المفتاح (مقلید) او (اقلید) . قال الراجز :

لم يؤذها الديك بصوت تغريده ولم تعالج غلطا باقلید

ونلاحظ انه لم يجتمع فى كلمة عربية الجيم والقاف الا بحاجز ، ولا الصاد والجيم . وليس فى ابناء العرب اسم فيه نون بعدها راء مثل : نرجس . ولا زاي بعد دال مثل : اندازه ، ثم ابدلوا الزاي سينا فصارت هندسة . كما انه ليس فى العربية كلمة مبنية من باء وسين وتاء ، واذا وجدنا كلمة رباعية او خماسية وليس فيها حرف او حرفان من حروف الزلاقة ، وهي ثلاثة من طرف اللسان : الراء والتون واللام ، وثلاثة من الشفة وهي : الفاء والباء والميم ، فالكلمة ليست عربية مثل : صهريج وشبارق وهو فلذات اللحم التي تقطع للطبخ .

كما كان يتم التاثر عن طريق الجوارى او الاميرات الفارسيات اللواتي انتقلن الى البيت العربي فكان لا بد لهن من ان تؤثر لفتن وعاداتهن فى ازواجهن واولادهن ، وكم عشق الشعراء هؤلاء الجوارى وكم نظموا فيهن . فلقد اهدى الوليد بن يزيد ابن ميادة الشامر جارية طبرستانية رائعة الجمال ، كان تقصها الوحيد فى نظره انها لا تحسن العربية ، فقال فيها :

باهلى ما الدك عند نفسى

لو انك بالكلام تعريينا !

ويتبدى هذا التاثر بواسطة الاسر الفارسية التي هاجرت من ايران الى البلاد العربية ، كما حصل لوالد المهلب الذي هجر بلاده ، وسافر الى عمان ، فطلق ديانته الزردشتية ، واسلم وجعل اسمه ابا سفرة . والعرب اذا كانوا ياخذون اللفظة للحاجة ، فقد اخذوها للتفكه ، كقول ابي المهدي :

يقولون لي شنبد ، ولست مشنبدا

طوال الليالى او يزول بغير

ولا قائلنا زودا ليمجل صاحبي

وبستان فى صدرى على كبير

وشنبذ : من الكلمة الفارسية شنبه أي يوم السبت . وزودا من زود معناها هجل . وبستان : خذ . أو يأخذونها للتفاح بمعرفتهم الفارسية ، كما نجد الأمثال الكثيرة على ذلك في كتابي : تيمية الدهر ودمية القصر .

وعلى هذا فقد تأثر العرب بالفرس لغويا كما تأثروا بالألم المجاورة ، على أن تأثرهم بالفرس أكثر وأوسع نطاقا . وقد جرت هذه الألفاظ إلى العربية في أزمان متفاوتة . فلم تزحمهم كثرتها ولم يعقبهم نطقها . ومن الحق أن نقول أن للفارسية فضل وأب الحاجة الحضارية وسد النقص اللغوي الذي تطلبه العصر الجديد بعد الفتح ، فدخلت في قرآننا ، وشعرنا ، ونثرنا ، وأمثالنا .

وإذا كنا تأثرنا بهم حكما وسياسة وثابعية ودينا ولغة قبل الإسلام ، فإننا أثرنا باستقلالهم واديانهم وعاداتهم ولغاتهم بعد الإسلام ، ولما ضاع استقلالهم ، واندمجوا في دولة الإسلام التي قادها العرب ، ولما ضاعت أديانهم وذابوا في الديانة الإسلامية ، انغمسوا في اللغة العربية وعاداتها وعاداتها .

وكنا ذكرنا في مقالنا السابق أن الأثر العربي الأول في الفارسية كان في تغيير الخط البهلوي الصعب بالخط العربي السهل .

على أننا لا نلبث نراهم يقتبسوا الألفاظ الدينية لتتبعها الألفاظ العلمية ثم الألفاظ الأدبية . ورغم أن اللغة العربية هيمنت على الأرض الفارسية ، ورغم أن القرون الثلاثة الأولى كانت العربية لغة العلم فيها ، فإن العربية لم تستطع أن تمحو الفارسية تماما . فقد ظلت متداولة بين الناس على الأقل ، وبين الشعراء لحاجتهم إلى القوافي ، ولا يمكنهم استخدام الألفاظ الفارسية في القافية دائما لأن الفاظهم غير كافية لذلك . ويكفي أن ينظر المرء في ديوان فارسي ليجد أن ثمانية بالمائة تقريبا من الفاظ القوافي عربية .

ولقد بدأ الفرس في مقاومة العربية منذ القرن الرابع ، فقد لاحظهم أن تكون العربية رائجة كل هذا الرواج في بلادهم ، وأن يكون العرب حكاما لهم ، وأول هذه المقاومات كان استقلال الدويلات الفارسية في مناطقها ، وتشجيع الشعراء الفرس على نظم القصائد الحماسية والوطنية . فقام شعراء ينظمون الشاهنامات ، ويعمدون الإقلال من ذكر الألفاظ

العربية . وقام أدباء يحضون على الكتابة الفارسية - غير أن هاتين الطيقتين لم تستطعا الحد من التأثر اللغوي للحاجة الماسة إلى كل ما دخل من الفاظ ، حتى أنهم أنفسهم استخدموا الألفاظ العربية في موضوعاتهم الحماسية والوطنية هذه .

وكما دخلت القرمان الكريم الفاظ فارسية فقد دخل الحياة العربية كثير من الفاظ دالة على الزينة والتشريف مما لم يكونوا راوها ، كما راوا من تنظيم الحكومة وتدوين الدواوين ما لم يخطر لهم على بال . فاضطروا أن يقتبسوا من الاسم المفتوحة الفاظا يدخلونها في لغتهم ، وكانت اللغة الفارسية أقرب نبع يستقون منه ما يحتاجون .

- فمن أسماء الأزهار الفارسية : النرجس . البنفسج . النسرين . الخيري . السوسن . الجنار . الأرجوان .

- ومن الطيب : المسك . العنبر . الكافور . الصندل . القرنفل .

- ومن الأطعمة : السميد . الكمك . السكاج . الدجاج . الكبة . الخبز وهو البطيخ . الفستق .

ومن الحلوى : الفالودج (وعربت إلى البالوظة) . الجوزنج . اللوزنج . الزرده . الجلاب .

- ومن التوابل : الفلفل . الزنجبيل . القرفة . الكراوية (وهي الأكلة المعروفة في دمشق خاصة) .

- ومن المفردات الحضارية : مهندس . روزنامه . نرد . برسيس (برجيس) . طربوش . بابوج . كوز ابريق . طست . خوان . طبق ، كاسة (عربت إلى فصحة) . خز . ديباج . سندس . لجام . غربال . كردان . ساذج . طازج . نموذج . برنامج . سمسار دهقان . صولجان . فنجان . نيزك . زنديق . بازار .

- ومن مفردات الدواوين : مهر . ديوان .

- ومن الأسلحة والحرب : سبيد وهو كالامير والقائد عند العرب . درفش (علم) . طبرزين . جند . مسكر . لجام . صولجان .

- ومن الحيوانات : شاهين . باشق . جاموس جؤذر (كاونر) . ذنب .

ولقد عمد العربي إلى ما خفف على اللسان ، واستعذبت الأذن جرسه ، وأن كان عنده اسم لها ، فاستعار : مسك . ثوت . رصاص . ميزاب .

مكان : مشوم . فرصاد . صرفان . مشب .
- كما اخدوا بعض التراكيب منها :

جلاب (ماء الورد) . ميزاب (سيل ماء) .
سرداب (الماء البارد) سراب (رأس الماء) . زركشة
(التطريز بالذهب) .

كما استعملنا في عاميتنا عددا كبيرا من
الالفاظ كانت الخلافة العثمانية سببا هاما في نقل
بعضها لان اللغة الرسمية في بلاط استانبول كانت
اللغة الفارسية :

كبة . كفتة . نازيك . سيخ . كباب . كفكير .
بشكير . خولية . عرموط . جادة . جاكوج .
بوقالة . ثمنا . بقلوة . ارمغان . برشت . كشتيان .
بابوج . طربوش .

ولقد استخدم الادياب العرب الكلمات الفارسية
في تراكيبهم . من ذلك قول الجاحظ في البخلاء :

« ويسكروا الدرياجة على صغار السمك » .
والدرياجة هي البحيرة ، و (سكر) كلمة سريانية .
وكان الاخفش يقول لتلاميذه : لا تقولوا عندي كلمة
هم وبس . وهكذا لا تقولوا لفلان بخت . وفي حديث
مجاهد : يغدو الشيطان بغيروانه الى السوق .
وقيروان معربة عن كاروان معناها القافلة .

اما المفردات العربية التي استخدمها الفرس في
لغتهم ، فقد كانت في كل باب . اذ انهم اخدوا :

- مفردات دينية : زكاة . حج . مسلم .
مؤمن . كافر . منافق . فاسق . حنث . خبيث .
قرءان . اقامة . تيمم . متعة . طلاق . زواج . قبلة
محراب . منارة . ابيس - زقوم . سلسيل .
حلال . حرام . بركة .

- مفردات في الادارة والسياسة : خليفة .
ملك . امير . وزير . حاجب . قاض . غلط . خطأ .
هارية . نصح . فضيحة . جلاد . سياف . مستخدم

- ومفردات الدواوين : كتاب . حبر . قلم .
مداد . خط . درس . فصل . باب . الاعداد حتى
العشرة .

- ومفردات الالبسة : جبة . ازار . لحاف .
مخدة . طراز . رداء .

- ومن اسماء الاطيار : فاخنة . قمري .
بلبل . لقلق . غراب .

ومن اسماء ادوات الرينة : حناء . غالية .
بخور .

ومن اسماء البلاد والافلاك : بلد . صحراء .
طبيعة . بركة . حوض . سهيل . فلك . مشرق .
مغرب . شمال . جنوب . طالع . صبا : دبور .

ومن اسماء اصحاب المهن : خياط . نقاب .
بيطار . بقال . صراف . دلال .

واسماء خاصة بالاطعمة واللهمو : قمار .
سفرة . قثينة . شراب . خمرة . غذاء . حلواء .
هريسة . قطائف . قلية . نقل .

واسماء في الحرب : حرب . جهاد . علم .
طبل . مرادة . منجنيق . ركاب . لواء . نصل .
دبوس . حربة . حلقة . قفل .

واوصافها : نبيل . لطيف . ظريف .
عاشق . شاعر . كاتب . وفاء . احمق . جاهل .
- كما اخدوا تراكيب واتصلا ، واعتبروها
بشكل مفرد :

سرحدات : رأس الحدود . فهميدم : فهمت
(من الفهم) .
مرد لا ابالي : رجل مهمل . زمين لا يزرع :
ارض لا يمكن زرعها . بالاضافة الى عشرات
المفردات التاريخية . وعشرات المفردات الجغرافية ،
وكذلك الطبية والفلكية . واذا طالعنا نثرا او شمرا
فارسيا وجدنا ان النسبة المئوية للمفردات العربية
تبلغ احيانا 45 او 50 ٪ ، واذا سمى الادياب ان يقل
من الالفاظ العربية ، فانه لا يمكنه ان يستغني عن
20 ٪ من المفردات العربية .

أخذت من البهلوية أم السنسكريتية أم الفارسية
الدرية ؟ .

ملاحظة أخرى جديرة بالانتباه تدل على مدى
التبادل اللغوي بين الامتين . ذلك ان العرب
استخدموا أسماء فارسية لمسميات ، في حين أن
الفرس استخدموا أسماء العربية . وقد حصل
هذا في العصر الحديث خاصة :

فنحن نقول روزنامه ومعناها (كتاب اليوم)
والفرس يستخدمون (تقويم)

ونحن نقول كهرباء ومعناها (جاذب القش)
والفرس يستخدمون (برق)

ونحن نقول دستور ومعناها (قانون) والفرس
يستخدمون (قانون)

ونحن نقول اركيلة - ناركيلة ومعناها (جواز
الهند) والفرس يستخدمون (غليان)

ونحن نقول كنار ومعناها (طرف) والفرس
يستخدمون (حاشية)

ونحن نقول كاسة ومعناها (زبدية) والفرس
يستخدمون (باطية)

ونحن نقول دستور ومعناها (القانون الاساسي)
والفرس يستخدمون (مشروطة)

ونحن نقول شرشف ومعناها (فطاء الليل)
والفرس يستخدمون (ملانة أي ملحفه)

ونحن نقول خرزة ومعناها (القراضة والاشياء
الدقيقة) والفرس يستخدمون (خرزة)

ونحن نقول بخشيش ومعناها (الانعام)
والفرس يستخدمون (انعام)

وقد اخذ العرب أسماء فارسية وتسموا بها
مثل : قابوس وهو معرب عن (كاووس) . وقد لقب
بها النعمان بن المنذر . ومن النساء دخنتوش ، وهو
اسم بنت لقيط بن زرارة وهو معرب عن (دخنت
نوش) .

كما اننا نلاحظ وجود عدد من عربية اسمائها
فارسية مثل : بغداد ومعناها اعطى الصنم أو الله
المعطي . البصرة ومعناها بعد الطريق وكانت (بس
راه) . الانبار ومعناها المخزن ثم حورت الى منبر .
القيروان ومعناها القافلة . ونجد عددا من القرى

والنواحي حول دمشق اسمائها فارسية مثل : مزنة ،
كيوان ، برامكة ، بلودان ، زبداني ، جرجانية . وقد
تكون هذه التسميات اطلقها التازحون من بلاد
فارس الى بلاد الشام .

وقد استعملنا اعلاما فارسية حديثة مثل :
شيرين . مهتاب . شهرزاد . شهنار . سوزان .
كيثي . مهيار . فرهود . جهان . فرزان . وقد
تكون هذه الاسماء أسماء غلمان وجوار وقد تكون
استخدمناها تحببا برقتها .

وإذا دخلت الاعلام الفارسية . فان اغلب
اسماء الفرس كانت عربية أو مركبة مع العربية .
فقد تازرت الاعلام الفارسية بالاسلام فاستقوا من
الدين الاسلامي ، ومن المذهب الجعفري خاصة هذه
الاعلام . فمنها : خير الله . شكر الله . وقد تكون
هذه الاعلام غير مستعملة عند العرب مثل : ذبيح
الله ، قدرة الله ، يد الله . وقد يركب العلم من كلمة
فارسية وكلمة عربية مثل : خدا مراد . خدا رحم .
خدا كرم . وقد يستخدمون أسماء الانبياء واسماء
آل البيت مثل : عبد . محمد . عبد الرسول . عبد
النبي . وقد يتغير اسم محمد الى معد ، واسم محمد
علي الى مدلي . ويسمون كلشوم فيقولون لها
كرسوم .

ثم هناك : علي . حسن . حسين . باقر .
صادق . اصغر . كاظم . رضا . تقي . تقي . وقد
يعرفون بعضها فيقولون لزين العابدين زينل أو زينل
لايدين . وقد يركبونها أو يدخلون عليها لفظة (عبد) :
عبد الحسين . علي اصغر . عبد الرضا . غلامحسين .
غلامعلي . كما ادخلوا عليها أسماء الاشهر الهجرية
فقالوا : صفر علي . رجب علي . رمضان حسين .

وقد تأثرنا بأعيادهم التقليدية القديمة ، وأهمها
النوروز والمهرجان . وبالرغم من أن الامويين لم
يتعمدوا التأثير بالأعياد الفارسية . لأنها أخذت
تتسرب الى العرب بدون استئذان ، حتى إذا كان
العصر المباسي نقلوا اليها الكثير من عاداتهم ، والتي
كان لها النفع الكبير لمحبي اللهو والطرب ، والأثر في
الادب العربي .

ونوروز ومعناها اليوم الجديد أي عيد رأس
السنة ، ويأتي في 21 آذار من كل عام ، ويعتبر
أول الربيع ، وهو أعظم اعيادهم . أما المهرجان ولفظه
الفارسي مهرگان ، فهو عيد الخريف ، ويبدأ في أول
الخريف ، وأوله 23 ايلول . وأهم أمر في هذين

العبيد اهداء الملابس والاموال الى الشعب وتقديم الاطعمة المتنوعة . يحكى انه قدم لسيدنا علي كرم الله وجهه طعام فارسي ، فاجبه وسال : ما هذا ؟ قالوا : هو النوروز . فقال : نوروزنا كل يوم . كما يحكى ان الحجاج اول من رسم هدايا النوروز والمهرجان فى الاسلام ، وابطلها عمر بن عبد العزيز . وشاعت فى العصر العباسي اذ كان الامراء يوزعون البستهم على حاشيتهم ، كما كان يفعل الاكاسرة . وصار من الشائع ان نسمع عن النوروز فى الشعر ، كما فى قول البحترى وهو يصف الربيع :

انك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد ان يتكلما

وقد نبه النيروز فى فسق الدجى
اوانل ورد كن بالامس نوما

وقد مدح المنبى ابن العميد وهو يهنئه بعيد النوروز بقوله :

جاء نوروزنا وانت مراده
وورت بالذى اراد زناده

عظمته ممالك الفرس حتى
كل ايام عامه حساده

ووصف ابن الرومي عيد المهرجان حينما هنا
عبيد الله بن عبد الله به فقال :

ما رات مثل مهرجانك عينا
اردشير ولا انو شروان

مهرجان كانما صورته
كيف شامت مخيرات الامانى

اما الحركة الادبية فقد حصل فيها تبادل تام بين الامتين : ولكن هذه الصلة وهذا التبادل يقل ظهورهما فى الجاهلية ، الا ما ذكرنا من الفاظ ومور . واذا بقي الشعر الجاهلي الى اليوم واستطعنا تمييز ما اقتبسوه من الفرس ، فان الادب الفارسي ضاع قبل الاسلام ، فلم نعد نعرف بماذا تأثر العرب وبماذا اثر العرب .

على اننا عندما نقول الادب الفارسي فانما نعني الادب الذى يظهر بعد الاسلام ، وبعد ان تعرعر ونشأ فى حقل الادب العربي ، وبعد ان غدته اللغة العربية والثقافة الاسلامية بجملها وتراكيبها وامثالها واساليبها وبلاغتها .

واذا طالعنا كتبهم الادبية وجدناها زاخرة بالافاصيص العربية والحكايات الشهيرة كحكايات حاتم الطائي ولقمان الحكيم وقيس وليلى . ومن اهم هذه الكتب : كلستان . بوستان . منطق الطير . قابوسنامه . كما انهم اقتبسوا من القروان والحديث وقصائد الشعراء المشهورين كالمثنبي والمعري ، وكذلك تأثروا بالمقامات . والفوا على منوالها فى القرن السادس الهجري . على انهم اذا بدأوا مقلدين لمذاهب وافراض الادب والشعر فانهم مسا لبثوا ان تخطوا مراحل تجديدية ومبتكرة لدرجة انروا فيها بالادب العربي والهندي والتركي .

اما الادب العربي فقد تأثر بدوره بالادب الفارسي وثقافته ، ذلك ان كثيرا ممن دخلوا فى الاسلام اضطروا الى تعلم اللغة العربية ، وسرمان ما ظهر منهم ومن نسلهم كتاب وشعراء بالعربية فى حين ان نطقهم للحروف العربية لم يكن سليما - فى بادئ الامر - ومن اقدم هؤلاء : زياد الاعجم ، اسماعيل بن يسار النسائي . ابو العباس الاعمى . موسى شهوات . فهؤلاء وغيرهم نشأوا نشأة فارسية ، وتادبوا بالادب الفارسية ثم صاغوا ادبهم بالقالب العربي فاحكموا التقليد اذ ان الفاظهم عربية وتراكيبهم عربية واوزانهم عربية ، وكان الخيال الفارسي ، والروح الفارسية ، والمعاني الفارسية بادية فى شعرهم العربي الذى يصوغونه .

وعندما كان الشاعر الفارسي يفخر بقومه على العرب ، كان يستوحى من تراث اجداده ما يقدر ويتخيل ما كانوا فيعرضه بشكل تفاخر ، كقول اسماعيل :

رب خال متوج لى وعسم
ما جد مجتدى كريم النصاب

انما سمي الفوارس بالفرس
س ، مضاهاة رفعة الانساب

فاتركى الفخر يا امام علينا
واتركى الجور وانطقى بالصواب

وانسالي - ان جهلت - منا وعنكم
كيف كنا فى سالف الاحقاب

اذ نربى بناتنا وتدسو
ن سفاها بناتكم فى التراب

وكان الشعب فى السامعين ، فقال له : صدقت والله ، اراد العرب بناتهم لغير ما اردتموهن له . قال

اسماعيل : وما ذلك ؟ قال اشعب : دفن المرب
بناهم خوفا من العار ، وريثموهين لتكوهن ،
(ويقصد انهم كانوا يتزوجون بناتهم) . فضحك القوم
وخجل اسماعيل .

ومع قلة ما وصلنا ، فقد استفاد من ذلك الادب
قدماؤنا فكثيرا ما يقول ابن قتيبة في عيون الاخبار:
وفي كتب المعجم كذا ، وقرأت كتاب ابرويز الى ابنه
شبرويه . وكثيرا ما ينقل صاحب التاج اشياء عن
اخلاق ماولك الفرس ومادابهم وكتبهم .

كما ان كثيرا من الشعراء والادباء من المرب
كانوا ينزلون فارس او العراق ، ويخالطون اهله ،
ويرون مدينته ، ويكون لذلك اثر في ادبهم ونسب
شعرهم . فقد نزل الطرماح وابو النجم اتراجز
وجريز والفردق العراق ، وابو تمام والثنبي فارس .
وقد كان الفرس شديدتي الامجاب بالشعر العربي
فكانوا يتوخون محاكاته في كل اشكاله والمراضه .

فالموضوعات التي نظموا فيها ، بعضها تابع
لموضوعات العرب كالمديح والفخر والهجاء والغزل
والرثاء والوصف والحكمة ، وتفوقوا في موضوعات
الحماسة والقصص ووصف الطبيعة . وقد فلدوا
العرب في وصف الاطلال مع انه عربي خالص كالشاعر
متوجهري في القرن الخامس الهجري وهو اول من
فقد الاطلال . كما فلدوهم في بكاء الديار والاناتر كما
فعل خاقاني في وصف ابوان كسرى الذي سبقه
البحثري بقرون في وصفه . وكذا بكى حميد الدين
البلخي مدينة بلخ عندما خربها الفرس سنة 548 هـ .
كما انهم غالوا في الموضوعات الشعرية التي اخلدوها
من العرب كالمديح والخمرة والغزل . وبرهوا في
الشعر القصصي ، وتجلت براعتهم في نظر الفردوسي
للساهنامة التي يريد عدد ابياتها على خمس وخمسين
الفا من الابيات على بحر واحد هو المتقارب . ثم
هناك يوسف وزليخا ، خسرو وشيرين ، ليلى
والمجنون .

والتصوف من الموضوعات التي تآثر العرب بها
واهم الشعراء المتصوفين الفرس جلال الدين
الرومي وحافظ الشيرازي . اما الاوزان والقوافي
فقد نشأ العروض الفارسي في احضان العروض
العربي وفي دوائره وبحوره واصطلاحاته وقوافيه .
الا ان الفرس آثروا بعض الاوزان العربية لانها اكثر
طواعية لثقتهم واقرب الى انطباقهم ، واصلوا ثلاثة
ابحر وهجروا بعضها ، واكثروا من المثوي اي الشعر

مزدوج القافية بين الشطريين . كما اخترعوا
الرباعيات ونظموا بها قبل الخيام وقبل العرب .
وخالفوا الموشحات العربية بموشحات سموها ترجيع
بند منذ اوائل القرن الخامس الهجري .

ومن الشعراء العرب الذين تأثروا بالصورة
الفارسية : الكميث . العتابي . الفردق . البحثري
ابو تمام . المثني . المعري . وتورد بعض الكتب
الادبية قطعاً وابياتاً تشير الى انها مقتبسة عن الشعر
الفارسي كالبيان والتبيين للجاحظ ، وبتيمة الدهر
لابن قتيبة ودمية القصر للباخري . على ان المجال
الضييق لا يسمح لنا باستعراض نماذج من ذلك . ونذكر
ان ابا نواس له قصائد فارسية لا يعرفها الادباء
العرب ، سميناها (فارسيات ابي نواس) .

وما يقال عن الادب والشعر والعروض يقال عن
البلافة ، فقد كانت قواعد الاسلوب الادبي الفارسي
مطابقة تماما لقواعد الاسلوب العربي من حيث
الايجاز والاطناب والتشبيهات والاستعارات . كما
ظهر نوع من الشعراء زادوا من التبادل الثقافي ،
لانهم نظموا باللغتين فسموا (ذوي اللسانين) .

ويحسن ان اتوقف لحظات عند الخمرة والغزل
المكتشف قبل ان اختتم الموضوعات الشعرية .
فالخمرة كانت معروفة في الجاهلية ، تاجرروا بها ،
وشربوها ، وحرّمها القرءان ، ووصفها الشعراء .
وازدادت مع الزمان حتى بلغت اوجها في الاتساع
والجراة في العصر العباسي . وعلى هذا فالشعراء
العرب الذين وصفوا الخمرة لم يقتبسوا عن الشعراء
الفرس لسبب بسيط هو ان ميلاد الشعر الفارسي
لم يبدأ قبل اواخر القرن الثالث الهجري ، ونعلم ان
الاخطل وشارا و ابا نواس ومن لف لفهم عاشوا وماتوا
قبل ذلك بكثير . ولكننا نقول ان الترف الذي عرفه
العرب عند تماسهم بالفرس فسح الطريق لمثل هذا
اللهو اكثر .

والغزل المكتشف كان معروفا كذلك عند امريء
القيس والنايفة والاعشى منذ الجاهلية ، وعند
الاخطل . وعمر والوليد وغيرهم في العصر الاموي .
ويزداد الغزل المكتشف حرية حتى يبلغ العصر
العباسي عند بشار و ابي نواس واسماعيل بن يسار
 وغيرهم . ولم يتأثر الشعراء العرب بالغزل الفارسي
للسبب الذي ذكرناه في الخمرة ، ولكنهم تأثروا
بالحضارة الفارسية التي زادت من جهة هذه الجراة
في الكشف . اما الغزل الغلامي فالجاهلية لم تعرفه

ولا القرن الاول ، ولكن جاء به الترف والحضارة الجديدة وكثرة الفلمن والسقا . على ان الفرس ليس عندهم ضمير خاص بالمؤنث وضمير خاص بالذكر ، فالضمير لكليهما واحد ، وكذا الامر في المخاطب والمخاطبة واسم الإشارة ، لذا فاذا نادى الفارسي لم يعرف السامع هل المنادى مذكر ام مؤنث ، على ان هذا ليس دفاعا عن الفرس فهذا هو الواقع ، كما ان الفرس لم يقولوا الشعر قبل رواج الغزل الفلامي ، وبعدئذ برعوا فيه ، انما الحضارة وكثرة الفلمن والترف هي التي سادت الشاعر والحياة الى هذا اللون من الغزل . وجدير بالملاحظة ان العرب في الطرف الغربي من الامبراطورية العربية لم يفعلوا فعل الشرقيين في الغزل المكشوف والغزل الفلامي .

وما يقال عن كل ما مضى من تبادل في التأثير والتاثير نقوله من القصص والحكايات ، فقد تأثرنا بأساطيرهم وحكاياتهم وأثرنا بهم في حكاياتنا وقصص قرائنا . وكذا استفاد الفرس من الامثلة العربية ، كما استفاد العرب من الامثال الفارسية .

وتعتبر العقائد من اكثر الامور تأثيرا في الامم وفي ادابها . فقد عرف العرب في الجاهلية الزردشتية وهي المجوسية ، والمانوية ، والمزدكية . وقد تجلى ذلك بتقديس العرب للنار المقدسة عند المجوس بحلفهم بها وبوصفها ، كما عبد بعض العرب الشمس وهي من عناصر الطبيعة التي عبدها الفرس والشرق ، وبدا كل ذلك في شعرهم . ونجد بقايا ذلك في اشعار الشعراء بعد الاسلام كبشار والمعري والمتنبي وأبي تمام . ولا ادل على تأثرهم بالاديان الفارسية من قول ابن قتيبة في كتابه (المعارف) ، عند كلامه على اديان العرب في الجاهلية : « وكانت النصرانية في ربيعة وغسان ، وبعض قضاة . وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث ابن كعب وكنده ، وكانت المجوسية في تميم ، وكانت الزندقة في قريش . اخذوها عن الحيرة » . وقد رفض المنذر الثالث اعتناق المزدكية فمزله قباز وعين مكانه الحارث ابن عمرو امير كنده بعد ان اعتنق المزدكية .

وقد تأثر الاسلام بالزردشتية كما يقول احمد امين بمقيدة العامة من المسلمين في بعض الامور ، كما تأثرت المعتزلة بمسألة الجبر والاختيار . ومن الجدير بالذكر ان الاعاجم عندما دخلوا الاسلام كانوا على دين خاص ورتوه عن اجدادهم ، ولم تمنح من مخيلتهم ملامح دينهم القديم فأضافوها على ما يتعلمونه من الدين الاسلامي .

ووجود الزندقة ، وبقايا المجوسية خلق حركة فكرية ومعركة ادبية جديدة ممثلة في مدارس علماء الكلام واهمهم المعتزلة . وقد الفوا الكتب ضد هؤلاء الزنادقة ، ونظم الشعراء القصائد في الرد عليهم او مشاركتهم آراءهم . ومن اهم من الف في هذا المضمار واصل بن عطاء في كتابه (الالف مسالة) للرد على المانوية . والجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) .

ورغم كل ذلك فقد ازال العرب من ارض فارس تلك الديانات التي وزعتهم فرقا ، وشتمتهم موقبا ، فجمعتهم تحت راية التوحيد ، الطاهرة ، وحررتهم من النظم الاجتماعية والطبقة الفاسدة .

وقد تبع هذه الحركة الفكرية ، حركة ادبية قريبة الشبه منها وفي مسالة تفاخر الموالي على العرب ، ورد العرب مزاعم الموالي الشعبيين . ومهما كانت النتائج ونوعية الخصام فقد نتج عن ذلك تبادل ثقافي تام الاركان فيه التاريخ والفلسفة ، وفيه الشعر والنثر ، وفيه التأليف الواسعة ، والاطلاع على الفلسفة . ومهما غشت هذه الحركة من مزاعم بشوبها الخطأ ، فان نتيجتها الادبية والفكرية الجديدة واقعة على الاديان العربي والفارسي على السواء .

ولقد كانت حركة المناوأة شديدة في العصر الاموي ، وتضعف الحدة ويتسع نطاقها الادبي كلما دنونا من العصر العباسي او خطونا فيه . ولقد شرقت قصور الخلفاء العباسيين بالموالي رجالا ونساء وعلمانا وفصحت الجيوش بهم .

واذا كان الموالي يتخوفون من الرد على الشعراء العرب في العصر الاموي فانهم لم يتورعوا عن التفاخر بجدودهم امام خلفاء العصر العباسي ، وها هو الشاعر المتوكلي ، شاعر المتوكل ونديمه يقول :

انا ابن المكارم من نسل جم
وحائز ارب ملك العجم

ومحيي الذي باد من مزهم
وعفى عليه طول القدم

الى ان يقول :

فعودا الى ارضكم بالحجاز
لاكل الضباب ورعي الفهم

فاني سأعلو سرير الملوك
بعد الحسام وحرف القلم
ويتهجم ابو نواس على العرب بوسيلة اخرى ،
هي تهكمه الكثير بطريقة العرب في التقديم لقصائدهم
بالغزل وبكاء الاطلاق ، ودعوتهم الملحة الى بدء القصائد
بالخمريات . ولا يمكننا - كمرب - ان نعتبره تجديدا
في الادب لان ابا نواس احاط برغبته هذه بالسخرية
والوضع من قواعد الشعر العربية ، وقد كان
يستطيع ان يجدد بغير تندر ، كما في قوله :

عاج الشقي على دار يسائلها
وعجبت اسأل من خمارة البلد

دع ذا ، خدمتك ، واشربها معتقة
صفراء تمتق بين الماء والزبد
كم بين من يشترى خمرا يلد بها
وبين بالك على نؤى ومنتفد

كما ان الموالي ناهضوا افكارهم بتلفيق احاديث
مكدوبة على لسان النبي (صلى الله عليه وسلم) .
من ذلك : لا تسبوا فارسيا ، فما سبه احد الا انتقم
منه عاجلا او آجلا . كذلك اخترع العرب احاديث
ترفع من قيمة العرب وتحط بالمعجم ، من ذلك :
« من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ، ولم تله
مودتي » . على ان هذه الحركة لم تنفع التبادل
الثقافي ولم تنفع الحركات الادبية بل ضررها . كما ان
انتصار الموالي للرواة الفرس كابي عبيدة ، وانتصار
العرب للرواة العرب كالاصمعي لم يات بالنفع بل
ابي بالضرر . ومن اجمل الردود على مزاعمهم
الشعوية قول المتنبي :

دع ذا ، خدمتك ، واشربها معتقة

صفراء تمتق بين الماء والزبد

كم بين من يشترى خمرا يلد بها

وبين بالك على نؤى ومنتفد

دع ذا ، خدمتك ، واشربها معتقة

صفراء تمتق بين الماء والزبد

كم بين من يشترى خمرا يلد بها

وبين بالك على نؤى ومنتفد

اما التجديد الحق ، فهو الذي قام به المتنبي ،
حينما عجب من الشعراء المتكلمين للحب ، اذا افتتحوا
مدائحهم بالغزل ، فقال صادقا :

اذا كان مدح فالنسيب المتقدم

اكل فصيح قال شعرا متيم ؟

لحب ابن عبد الله اولى فانه

به يبدأ الذكر الجميل ويختم

على ان الامر لم يقف في هذه المعركة على الشعر
بل انبرى الطرفان بتأليف كتب في هذا المضمار .
فمن الكتب التي الفت انتصارا للشعوبيين من الموالي :

- فضل المعجم على العرب وانتصار المعجم من
العرب . تأليف : سعيد بن حميد البختكان .

- ادعياء العرب . لصوص العرب . فضائل
الفرس . تأليف : ابي عبيدة ممر ابن المشي .

- المثالب . تأليف : علان الفارسي . المثالب
الكبير والمثالب الصغير . تأليف : الهيثم بن عدي .

ومن الخير للطرفين ان هذه الكتب فقدت ،
ولم يبق بين ايدينا الا الاسم ، والا النور القليل
منتشرة في كتب الادب وهيون اخبارها . ومن اهم
الكتب التي ردت على مزاعمهم :

- العرب - لابن قتيبة . البيان والتبيين
للجاحظ .

وانما الناس بالملوك وما
تفلح عرب ملوكها معجم

لا ادب عندهم ولا حسب
ولا عهد لهم ولا ذمم

اما الحكم والامثال : فالانسان مع انه يفض
عينيه اذا سمع حكمة فانه ينصت اليها ويميل الى
الاستفادة منها والاستشهاد بها . ولقد كان للفرس
اثر كبير في الاخلاق السامية والاداب من ناحية
حكيمهم . ذلك ان الاخلاق الاسلامية تأثرت بثلاثة
مؤثرات :

1 - بالتعاليم الدينية التي وردت في القران
والانجيل ، ومن الانجيل والتوراة .

2 - بالفلسفة اليونانية التي نقلت في العصر
العباسي .

3 - وثالثاً بحكم واقاسيم الفرس او ما نقل
بواسطتهم من الهندية ، بما نقل عن الملوك والوزراء
ورجال الاديان الفارسية ووعاظهم . وقد ملئت كتب
الادب بها ، ومن اهم الكتب التي ملئت بامثال هذه
الحكم ، هيون الاخبار ، سراج الملوك ، وكتب الجاحظ
وابي حيان . المقدم الفريد .

ومن جملة الامثال الفارسية التي عرفها العرب
واستخدموها :

- اذا جاء البعير حام حول البير .

عربية . واذا استهجن الأميون أبناء الاماء فان الملب
امهات الخلفاء العباسيين كن اماء وقينات فارسيات
وغير فارسيات .

وختاما لحديثي ، انه لمن الخطا والفلو - كما
يقول احمد امين - ان نعتبر ان العرب كانوا بمعزل
عما حولهم من الثقافات والأديان ، وان آراءهم
وأدابهم وعلومهم نبئت وحدها من عقول عربية ، من
غير ان تغذى بغيرها .

فقد رأينا انهم - حتى في جاهليتهم - لم يكونوا
بمعزل ، وانهم كانوا بعد الاسلام اكثر اتصالا والتحاما
وعلاقة . ولا يقدح التبادل الثقافي اية امة ، فالعلم
ملك شائع ومرفق مباح يفترف منه الناس جميعا ،
وليس له حدود فاصلة كالتى ترسمها السياسات ،
وانما الذى يقدح في الامة حقا ان تفضى هبونها ،
وتسد اذانها عما حولها من نظريات وافكار ، او ان
يدنمها التعمصب الاعمى ان تنسب لنفسها ما ليس
عليها ، وتعزو اليها خلق ما لم تخلق ، وابتداع ما لم
تبتدع . كما على الامة ان تبحث عن تراثها ، ولا تتهاون
فيه ، وتحافظ عليه ، فهو الدخيرة الدسمة والمجد
الايل الذي عليها ان تبقى عليه .

ولشدة الارتباط الوثيق بين الادب العربي
والادب الفارسي الاسلامي في العصر العباسي هذا
لزاما على دارسي الادب العربي من الفرس دراسة
الخطوط العريضة على الاقل للادب العربي ، واصبح
من الضروري لفهم الادب العباسي العربي تفهم الثقافة
العربية التى كانت مفرقة من ارض الجزيرة العربية
شرقها وغربها ، او مستقاة من الامم المجاورة ودراسة
تطور الادب الفارسي لمعرفة الجديد في ادبنا والجديد
في ادبهم .

- سالوا الشاب اين شاهدك ؟ قال : ذنبي .
- احذروا صولة الكريم اذا جاع ، واللثيم اذا
شبع .

- اذا اردت ان يقبل قولك فصصح رأيك ولا
تشوبه بشيء من الهوى . فان الراي الصحيح يقبله
منك المدو ، والهوى يرده عنك الولد والصديق .

- اذا كلمك الوالى فاصغ الى كلامه ، ولا
تشغل طرفك عنه بنظرة الى غيره ، ولا اطرافك بعمل
ولا قلبك بحديث نفسي .

- استح الحياء كله من ان تخبر صاحبك انك
عالم وانه جاهل ، مصرحا او مبرضا . الى غير ذلك
مما تزخر به كتب الادب والحكم .

على ان الفرس اخذوا حكمهم كذلك من القروان
والحديث ومن حكم حاتم ولقمان والمنتبي والمصري
وغيرهم واستفادوا منها بعد الاسلام .

ومن اهم الامور التى ادخلت العربية في
الفارسية ، والفارسية في العربية التصرف ،
والجوارى خاصة من اسباب الترف . فلقد ادخل
نظام التسري الى الاسر العربية عادات وتقاليد
والوانا من الامور الاجتماعية ، وفنوننا وموسيقا ما
كانت معروفة عندهم انما جاء بها هؤلاء الجوارى من
بلادهم .

ولقد كان العربي يشتري القينة لفن تجيده ،
والشعراء كان عندهم قينات ، واغرموا بهن ومرفوا
منهن اسماء الآلات الموسيقية والازهار وورقة الفناء
والوان الطعام . كان كل ذلك يتابع للشعراء على
تاوين شعرهم وتطعيمه باوصاف وتشبيهات لم تكن